

٦. ماذا يعنى هذا ؟

بعد أن حلق الفصل السابق فى آفاق الميتافيزيقا - ما وراء الطبيعة / الفيزيقا - بثقة منهجية واقتدار علمى! يخطو هذا الفصل خطوة أبعد فى الذهاب إلى ما وراء العلم، إنه ببساطة يهدف إثبات وجود الله! أيضاً مستعينا بتطورات العلم المعاصر عموماً والفيزياء النظرية، إذ يسخرها لإثبات أن الكون مخلوق بقصد وتديبير وإحراز غاية مسبقة. وخصوصاً من أجل ظاهرة الحياة المتطورة الحسية، وبمزيد من التخصيص من أجل الحياة الإنسانية التى انبثق عنها الوعى.

أول عبارة فى هذا الفصل يصادر فيها بولكين هورن على أنه يأخذ بالنظرة الدينية إلى العالم، وكل ماتضمنه من أن هناك معنى للحياة وغرضاً لها يتحقق عبر تجليات التاريخ. وكانت كشوف العلم فى أوقات كثيرة تؤيد هذه النظرة. وقد انتهى نيوتن إلى أن هذا الكم الهائل من الحركة فى النظام الشمسى بكل اختلافاتها، والناجمة جميعها عن قانون بسيط للجاذبية الكونية، لاتعنى إلا تديبيراً إلهياً معجزاً. وفى حاشية ملحقة بالطبعة الثانية من كتابه «المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية» يقول:

«النظام البالغ الروعة للشمس والكواكب والمذنبات، ماكان له أن يصدر إلا عن مشيئة وسلطان لموجود فائق ذى عقل شامل وقوة شاملة.. هذا الموجود الأعلى يحكم كل شىء، ليس بوصفه روحاً للعالم، بل بوصفه إلهاً للجميع».

وحين تبينت الفيزياء أن الكون يعمل فى جانب منه كساعة مهيبة الانتظام، تقدمت علوم الحياة بدورها بأعجوبة أعظم، وهى تخبرنا بأشكال من الحياة تميل هى الأخرى إلى أن تمارس وظائفها وأنشطتها فى بيعتها بهذا الأسلوب نفسه من العمل، أسلوب الساعة المهيبة الدقيقة. لقد صدر عام ١٦٩١ عن عالم كمبرج الطبيعى جون راي J. Ray كتاب واسع الانتشار عنوانه «حكمة الرب كما تتجلى فى أفعال الخلق». وبعده بمائة عام حمل هذه الحججة نفسها كتاب آخر أكثر شهرة لوليام بالى W. Paley وهو «اللاهوت الطبيعى». الكون الذى يمسير كالساعة الدقيقة، والكائن الحى الذى تعمل أجهزته كما الساعة الدقيقة، أحدهما أو كلاهما نستدل منه على وجود صانع لهذه الساعة، ذى عقل شامل وغرض محدد ظاهر فيما صنعه أو بالأحرى خلقه. وقد سارت مقالات بريدجوتر Bridgewater إلى مدى أبعد، وهى تحاول تبيان قوة الله وحكمته وخبريته كما تتجلى فى التنوع الرهيب والتشكيل الفريد للمملكة الحيوانية والمملكة النباتية ومملكة المعادن على السواء.

الصدفة العمياء أم الخالق المدير:

تصدى ديفيد هيوم بالنقد اللاذع لهذا اللاهوت الطبيعي، لافتاً الانتباه إلى مظاهر النقص البادية في الطبيعة. بيد أن العاصفة القوية هبت فعلاً من كتاب «أصل الأنواع» لتشارلز دارون. فقد بدا أن التغيرات الصغيرة البطيئة المتراكمة خلال عملية الانتخاب الطبيعي طويلة المدى هي السبيل الذي يصل به الكائن الحي إلى الشكل الضروري للبقاء في بيئته، بغير الحاجة إلى استحضار قوة إلهية علوية وحكمتها وقدرتها لكي تفسر ما أحرزته الكائنات الحية من استعدادات وقدرات. فالمسألة كلها تجري على ظهر الأرض في إطار المحاولة والخطأ والتغير والانتخاب.

بالقطع، لم يعد ممكناً التفكير في التنوع الرائع للحياة بوصفه خلقاً فجائياً، أو تنفيذاً نهائياً لتصميم إلهي مسبق، تصميم أزلي أبدي. ومع هذا ليس ثمة على وجه الإطلاق حجة تنكر تماماً أى قصد إلهي أو غرض من هذا التطور الحيوي، الذي تتوالى مراحلها عبر مسار التاريخ. هذا على الرغم من أن كثيرين من علماء الحياة المعاصرين يميلون لهذا الإنكار، وإلى أن دارون اكتشف عملية آلية عمياء تتم بلا وعى أو قصد أو رؤية للمستقبل، قائلين أنه إذا كان ثمة صانع للساعة الحيوية، فهو صانع أعمى بلا هدف.

بيد أن المسألة أعمق من هذا وذاك - كما يوضح بولكين هورن. فأولاً بعض رجال الدين رحبوا بالنظرية التطورية، ورأوها متفقة مع الفهم الصحيح للدين أكثر من نظرية الخلق المكنم المناقضة لها. وفي واقعة أغفلها التاريخ بشأن تقويم كشف دارون، نجد رجل دين إنجليياً (بروتستانتياً) معاصراً لدارون، هو تشارلز كنجزلي Ch. Kingsley يرحب بأفكار التطور تحميذاً للعقيدة الشائعة عن العلم التقدمي، في مقابل الإلزامية التي مارستها الكنيسة. وكما يقول كنجزلي، تصور العلماء أن التطور الحيوي يعنى التخلص نهائياً من الألوهية وتدخلها في الطبيعة، وأن المسألة أصبحت اختياراً حاسماً بين بديلين، الأول هو مجال مطلق للمصادفة والأحداث العمياء والثاني هو الله الحي الذي يمارس عمله المحايث في الكون. بيد أن الله لم يخلق عالماً جاهزاً مكتملاً، لقد صنع شيئاً أكثر حدقاً وبراعة وأكثر إثباتاً لذاته تعالى، عالماً خاضعاً دائماً للتطور. وعلى هذا المنوال نفسه، سار معاصره أبري مور A. Moore موضحاً أن الخلق الفجائي قد حل محله مفهوم الخلق المستمر. ولاتزال هذه الفكرة تلعب دوراً مهماً في التأملات الاندينية حول الكون التطوري، وتجد تعبيرات شتى خصوصاً في كتابات تيار دو شاردان وآثر بيكوك.

وفي المقابل ثمة أولئك الذين يؤكدون على أن التطور أعمى، ويركزون الانتباه على عرضية لامراء فيها، كما لو كانت هي كل مافى الأمر. ولكن ضرورات البيعة هي التي

تفتح مجالات المصادفة. وتلك المجالات الاحتمالية التي يسمونها المصادفة يمكن - فى المقابل - أن تكشف لنا عن إمكانيات خصيبة تطرحها القوانين الضرورية للطبيعة. إن التطور يعتمد على التفاعل بين الصدفة والضرورة، وإنه لخبث حقاً ألا نأخذ فى اعتبارنا زاوية تعنى أن ما يحدث خاضع لقانون.

خصوبة هذا الكون :

إن أروع ما فى مسار هذا الكون هو تشكُّل كوكب الأرض الذى تحول حديثاً إلى موطن لكائنات أصبحت واعية بذاتها، فقط منذ أكثر قليلاً من ثلاثة بلايين عام. وفيما لا يزيد على بضعة مئات من ألوف السنين، تطور المخ الإنسانى ليغدو أعقد نظام فيزيقى وأعجب ما يمكن أن يصادفنا فى هذا الكون.

وفى حدود معرفتنا الحالية لا يمكن فض سر المخ البشرى وقصته فقط بواسطة قوانين الوراثة. إن المقولات التطورية لا تكفى البتة لتفسير ظاهرة الدماغ، هذا ما يسلم به رهط من العلماء المعاصرين، حتى من أولئك غير المعنيين إطلاقاً بالأبعاد الدينية، إنهم يبحثون عن مبادئ تنظيمية أخرى عاملة وفاعلة.

من ثم كان بولكين هورن شديد التعاطف مع الاعتقاد بأن خصوبة الكون وخصوبة التاريخ على الأرض تجعل من المعقول تماماً تأييد التيار الذى يرى المقولات التطورية تعمل فى إطار قوانين غائية للطبيعة، وأن هذه القوانين الغائية - أى افتراض أن الكون أو الطبيعة تعمل تبعاً لقوانين تجعلها تسير نحو تحقيق غاية مسبقة مقصودة - محتملة تماماً، يتعاطف أيضاً وبشدة مع لاهوت الطبيعة الذى يراها خلقاً للرب. وكثيراً ما نفكر فى كيفية إفساح المجال للتأثيرات الغائية بغير أن ينكر معارفنا العلمية الراهنة عن عمليات الطبيعة. إن الأفكار الداروينية لا تعطى إلا استبصاراً جزئياً بالتاريخ التطورى لعالم فائق الخصوبة، وهى بالتأكيد لا تعطينا القصة الكاملة. ويمكننا الآن أن نبحث عن آيات هذه الخصوبة فى استبصارات علمية أخرى.

المعادلات الجميلة :

أولى تلك الاستبصارات هى أن العلم ممكن أصلاً لأن العالم على درجة عالية من المعقولة، قابل للتعقل بصورة واضحة. هذه المعقولة ملموسة فى عالم الحياة اليومية، فلو لم نخرج منها بتعميمات من قبيل «هذا النبات سام» «السقوط من على منحدر صخرى خطير» لما أمكنا البقاء على قيد الحياة أصلاً، لكن التعقل فى العلم يفوق بكثير جداً التعقل المطلوب لممارسة الحياة اليومية. وهذا يتبدى بوضوح فى ضرورة اللغة الرياضية لفك ألغاز هذا الوجود.

لقد أمضى ديراك حياته باحثاً عن معادلات جميلة، قد يبدو هذا غير مفهوم للعام، لكن بالنسبة للمتخصصين فى الرياضيات، فإن الجمال الرياضى خاصة مدركة

تماماً، ويكمن جوهره فى اقتصاد معين فى التفكير وأناقة فى التعبير، تجعل الرياضيات متصفة بأنها تفكير عميق. وذات مرة قال ديراك إن الجمال فى معادلة الفيزياء الرياضية أهم من توافقها مع التجربة.

بالطبع لايعنى هذا أن التوافق التجريبي غير ذى أهمية. لكن الاختلاف مع الوقائع التجريبية له أكثر من طريقة لتلافيه أو لمواجهته كما هو معروف ومطروح فى نظريات المنهج التجريبي. أما فقدان الجمال الرياضى فلاسبيل إلى تعويضه ولايمكن مواربته. وفى أكثر من مرة نكتشف أن هذا الجمال الرياضى هو ذاته الذى يجعل المعادلة متوافقة مع الطبيعة.

وفضلاً عن هذا، فإن الرياضيات تنشأ أصلاً عن استكشاف عقلاى طليق للذهن البشرى، لاتحكمه أية محددات خارجية، فقط منطقة الرياضى الخاص به، أفلا يعنى هذا أن عقولنا قد قُدت على قد التوافق مع بنية الكون الذى استطاعت أن تتوغل فى أعماق أسرارهِ.

وذات مرة قال آينشتين إن الشئ الوحيد الذى لايمكن تصوره فى الكون هو كيف أنه قابل هكذا للتصور! إن الكون يبدو ذا شفافية أمام العقل. عقلانية الجمال وعقلانية الشفافية فى العالم الفيزيقي تجعلنا نتلمس خيوط معنى عميق مغزول فى قماشة العلم التجريبي. لذا يتحدث فيزيائيون عظام أمثال ستيفن هوكنج عن قراءة لعقل الله فى الأنظمة الرياضية للعالم الفيزيقي. ومع كل هذا تظل تجليات العقل الإلهي أبعد كثيراً من كل ماتستطيع الفيزياء أن تكتشفه.

المبدأ الأناسى يعنى أن الكون على ما هو عليه ليلائم وجود الإنسان. ولو لم يكن هكذا لما وجد الإنسان ولا كان هنالك العلم. وبمناقشته نتلمس استبصاراً علمياً آخر بخصوصية الكون وغائيته. ذلك أن الخيال العلمى يستطيع أن يتصور كوناً آخر كهذا الكون، ولكن يختلف عنه فى بعض الجوانب الفيزيائية، كأن تكون القوة الكهرومغناطيسية أقوى أو القوى النووية أضعف، سوف يكون البشر فيه مختلفين، أكثر انبعاثاً أو أقل اكتنازاً، أو مثلاً على شاكلة الإنسان الأخضر صغير الحجم. وبالتحليل الدقيق يوضح المؤلف أن الاحتمالات العلمية ترجح أن التاريخ التطورى فى هذا الكون سيسفر عن أشكال أخرى من الحياة خاصة به، وليست البتة على شاكلة هذا الإنسان العاقل، أى قصارى ماتوقعه هو حياة ما محدودة التنوع ودون الوعى، حياة بلاخصوبة. والواقع أن كوناً من هذا النمط سيكون مملأً ومضجراً، ويوضح أن قوانين نظرية التطور فى حد ذاتها يستحيل أن تحل محل الإله الخالق القدير، لكى يكون أمامنا كل هذا التعقيد وتلك الخصوبة التى تمثل فى تكوين الإنسان. إن الأدوار

المبدأ الأناسى :

Anthropic Principle

المتداخلة للصدفة والضرورة تتطلب بالضرورة شكلاً من نوع خاص وخصائص فيزيائية معينة لكي ينبثق أى شىء يستحق أن يسمى «الحياة» فعلاً. هذه النتيجة المذهلة هي مانسميه بالمبدأ الأناسى .

تلك الخصائص الضرورية جمعة، نشير الآن إلى واحد منها. وهو أن العالم ليس بالغ الصلابة، وإلا لما كانت هناك التغيرات التي نريد التطور ليفسرهما. وهو بالمثل ليس بالغ الليونة وإلا ما احتفظ بالأشكال الجديدة للحياة. إن الكون مركب جدلى من الليونة والصلابة.. من الضرورة والصدفة. وقوانين الكوانتم تعطينا أساساً لتفسير التفاعل بينهما، والذي يبدو جوهرياً من أجل التطور الخصب.

ثم يغوص المؤلف بعد ذلك فى أعماق فيزيائية دقيقة، بكل ما يملكه من تخصص فى هذا العلم، ليثبت بالتفاصيل المسهبة ذلك التوافق الرائع فى الكون وتوازناته المبهرة التي تجعله «كوزموس» منتظماً مهيباً للحياة ولتطورها، وذلك لينتهى إلى الخلق والتدبير الإلهيين. وأول ما يتوقف عنده الثوابت الكونية التي تناظر حداً فى معادلات المجال فى النسبية العامة، التي هى النظرية المعاصرة للجاذبية، وكيف أن قيمتها الصفرية فى عالمنا ضرورية لكي تستمر الحياة والتطور. وأيضاً الكهرومغناطيسية، وكيف أن الروابط الكيميائية تتطلب ألا تكون هذه القوة أضعف مماهى عليه، وإذا كانت أقوى سوف تتباطأ معدلات التفاعلات الكيميائية ويتوقف التطور... وكيف أن الجليد أخف كثافة من الماء ليطفو الصقيع على السطح وتستطيع الكائنات المائية مواصلة الحياة فى الأعماق. وعلى هذا المنوال يناقش التوافق الرائع فى قوة الجاذبية وفى القدرة النووية القوية والقوة النووية الضعيفة..

وفى النهاية يخلص إلى أن الكون انتظم فى إطار هذه التوازنات الرائعة عن تدبير وقصد، لكي يكون موطناً ملائماً للحياة، ولوجود هذا الإنسان فيه.

ويستأنف محاولاته فى الاستفادة من كل الأبعاد العلمية فى محاولة إثبات هذا، فيستفيد أيضاً من نظريات علم الكونيات الحديث بشأن عمر الكون وحجمه وحسابات الأوزان الذرية وكتل الجسيمات الأولية... الخ، ويوضح بالتفصيلات المسهبة كيف أن كل هذا قد قُدَّ بدقة بالغة على هذه الصورة لكي يتناسب الكون مع وجود الحياة على الأرض ووجود الإنسان فيها، وأى اختلاف يعنى استحالة أن يحدث هذا.

والسؤال الآن ما الذى نتعلمه من كل هذا؟ يلاحظ بولكين هورن أن البعض قد يقولون: لاشىء، ونحن لانعرف إلا كوناً واحداً وقد وجدناه هكذا. ولكن صمبم

الحجة كان قائماً منذ البداية على أننا نستطيع أن نتصور أكواناً أخرى كهذا الكون، وكلما بحثنا في التفاصيل الفيزيائية، كنا ننتهي من كل جزئية إلى ضرورة أن تطابق نظيرتها في كوننا لكي يكون هناك حياة وخصوبة. فهل يمكن بعد كل هذا أن تكون الحياة على سطح الأرض محض مصادفة عمياء وليست تدبيراً إلهياً مقصوداً.

لكن قد يقال إن المبدأ الأناسي هذا يجعلنا نلف وندور في دائرة مفرغة من تحصيلات الحاصل، ذلك أن مانتهى إليه من توافقات رائعة يستلزمها تطور الحياة، هي في الواقع ليست تلبية لمقتضيات المبدأ الأناسي، بل مجرد نتائج تلزم منطقياً عن نظرية فيزيائية عميقة.

ولتفنيد هذه الحجة تُناقش مقولة الانفجار الكبير Big Bang وتمدد الكون. فمن ضرورات المبدأ الأناسي أن الكون - ومنذ أولى مراحلها المبكرة - لا بد وأن يتميز بتوازن دقيق جداً بين الآثار التفجيرية للانفجار الكبير التي تقذف المادة بعيداً متناثرة في الفضاء الشاسع، وبين قوة الجاذبية التي تجذب المادة معاً في كل متناسق. قوة التفجر وقوة الجذب إذا لم تكونا منتظمين في عملهما معاً ومتوافقتين في تأثيراتهما المتبادلة، فسرعان ما سيصبح الكون أضعف وأرق من أن يحدث فيه أي شيء، أو أنه سينهار توأ من جديد قبل أن يحدث فيه أي شيء ذي أهمية. وحسابات النظريات الفيزيائية المعاصرة تنتهي إلى أن التوازن الدقيق بين قوتى التفجر والجاذبية راح ينتظم منذ أن بدأ الكون يتمدد وعمره ١٠-٣٥ ثانية.

وبالطبع ليس من الضروري أن يكون كل كون قابل للتعقل هو كون يتمدد، فاحتمالية التمدد ذاتها تتطلب قوانين فيزيائية من شكل معين، وأيضاً ليس الكون مفترضاً قبلاً ليكون خاضعاً للكوانتم وللجاذبية؛ بيد أنها جميعاً وجوه لطبيعة الكون تلعب دورها كأساس فيزيائي لتطور الحياة وللخصوبة وللوعى، أي إنها ضرورية للمبدأ الأناسي وكافية له.

المناقشة السابقة للمبدأ لم تأخذ في اعتبارها أن الكربون عنصر أساسي للحياة، بمعية ما ينتج عن هذا من خصائص معينة للمادة. وإذا أردنا أن ننفي احتمالية الحياة في أي كون آخر، يجب أن نناقش دور الكربون، فماذا لو أمكن وجود حياة مختلفة دون الكربون؟

بيد أن شيئاً ما كالوعى يتطلب سياقاً فيزيائياً بالغ التعقيد، ربما كان عدد الخلايا العصبية في المخ بضعاً عدة النجوم في درب التبانة (١١١٠)، وتصور مثل هذا في إطار مختلف كمن يكتب شيكاً على بياض يُسحب من رصيد غير معلوم؛ فمن

المستحيل أن نحدد ظروفاً مختلفة اختلافاً جذرياً لدرجة عدم توافر الكربون ذاته، ويمكن أن تنشأ عنها أنظمة حيوية مماثلة في درجة التعقيد .

ومازال علينا استئناف المسير لتحديد مغزى هذه الاستبصارات العلمية . فهل يمكن أن تؤدي إلى مانسميه المبدأ الأناسي الضعيف»، ومنطوقه: وجود الحياة الإنسانية الواعية يفرض ظروفاً معينة في الكون، ونحن نلاحظ أنها يجب أن تتسق مع وجودنا فيه لكي نمارس الملاحظة، فمثلاً الحياة التطورية القائمة على أساس الكربون تشترط أن يكون الكون قديماً بما يكفي لحدوث كل ذلك التطور . ويوضح بولكين هورن أن هذا المبدأ «الضعيف» تحصيل حاصل، فهو في صلبه كالاتى: نحن هنا وكذلك الأشياء ليكون كل هذا ممكناً . وليس الأمر تحصيلاً لحاصل فمحض شظية من هذا الكون المعقول تثبت أنه يمكن أن يكون موطناً للكائنات العاقلة .

وهذا يؤدي بنا إلى طرح المبدأ الأناسي «القوى»، ومنطوقه: يجب أن يكون للكون هذه الخصائص التي يتصف بها والتي تسمح للحياة بأن تتطور داخله في مرحلة معينة من تاريخه . والمبدأ بهذه الصورة ينص على الغائية صراحة، لاسيما في افتراضه أن الكون «يجب» أن يكون هكذا .

التقاليد الإنجليزية العلمية العريقة لا تسمح كثيراً بفرض «الوجوب» على الكون . لذلك يقول بولكين هورن إن ميراثه الإنجليزي يجعله ينتهي إلى صورة معتدلة للمبدأ الأناسي، تنص على: «ملاحظة الخصوبة العارضة في الكون بوصفها واقعة مهمة ومثيرة تستدعى تفسيراً» .

إن تطور الحياة الواعية هو أعظم وأهم ما حدث طوال تاريخ الكون، ويحق لنا افتراض أنها تستلزم بالضرورة كوناً بالغ الخصوبة كهذا الكون لكي تكون ممكنة .

وإنه لمن الغريب حقاً أن يقاوم بعض العلماء هذا البحث عن فهم أرحب، فيرفضون المبدأ الأناسي بدعوى أنه غير قابل للتكذيب التجريبي؛ مما يعنى أنه ليس البتة مبدأً علمياً؛ كما علمنا كارل بوبر . فلماذا يقبلون - مثلاً - نظرية التطور، التي هي مجرد برنامج بحث ممتاز وفعال في علوم الحياة، ولا تقبل البتة التكذيب التجريبي؟ فما الواقعة التجريبية التي يمكن أن تفندها وتؤدي بنا إلى رفضها؟! أما إذا رفضوا المبدأ الأناسي لأنه نافلة لاحاجة للعلم به، فإنهم يرفضون أن يرفعوا أعينهم ليرى الأفق الرحيب الذي يكلل المعرفة العلمية . فلماذا يلزمون أنفسهم بنظرة لا طائل من ورائها إلا العقم والإجداب .

إن السؤال عن مغزى المبدأ الأناسي ميتافيزيقا علمية، فهو ينشأ عن استبصار علمي أصيل .. عن علم الكونيات (الكوزمولوجيا Cosmology) بيد أنه يذهب إلى ما وراء

المجالات التي يستطيع العلم بمفرده أن يفتى فيها . نحن هنا لسنا معنيين بالفيزيكا، بل بالميتافيزيكا . وفي هذا يمكن أن نرفض المبدأ الأناسي، تماماً كما يمكن أن نبحت بواسطة فهم أعمق وأرحب .

والآن فإن صورة المبدأ الأناسي المعتدلة التي انتهينا إليها تعنى أن نبحت عن تفسير لهذه الخصوبة العارضة التي أنتجت الحياة والوعى . والتفسير إما فيزيقي وإما ميتافيزيقي .

التفسير الفيزيقي يتمثل في فئة من القوانين الفيزيائية العاملة تلقائياً في الكون منذ الانفجار الكبير وتمده، يطرح بولكين هورن هذه القوانين ويناقشها موضحاً قصوراتها وأنها جميعاً فرضية وتتصور الكون بوصفه مشروعاً تحت التأسيس كلوحة فسيفساء تتخلق قطعة قطعة . والنقطة المحورية أنها قابلة للتطبيق على أكوان شتى، أو على مجموعة من الأكوان المتجاورة . وهم يقرون باحتمالية هذه الأكوان الشتى . وتلك فرضية - وإن أيدها أحد تأويلات ميكانيكا الكوانتم، فهي تعتمد على عوامل ليس لدينا معرفة مباشرة بوجودها الحقيقي ..

وفي كل حال يستحيل أن يكون التفسير فيزيقياً تماماً، ولا مندوحة عن الالتجاء إلى الميتافيزيكا .

ومادامت المسألة ميتافيزيكية فإن التفسير الذي يفرض نفسه هو الخالق الأعظم وقد خلق الكون عن قصد وتدبير، بإرادة ومشئفة وقدرة، ليكون على هذه الصورة الملائمة لوجود الحياة والإنسان والوعى . تلك هي النتيجة التي تلزم بالضرورة عن المبدأ الأناسي .

إنه لاهوت حديث، لا يناقش العلم ولا يحل محله بتفسير آخر للكون، بل هو متمم للعلم ويهب معنى عميقاً للقوانين الفيزيائية البارعة، وهي تضع اليد على التوافقات الرائعة في الكون، التي انبثق الوعى في إطارها وعلى أساس منها . إن العلم ممكن والتاريخ الكوني خصيب لأن العالم مخلوق؛ فالله موجود، وقد خلق الكون عن قصد وغاية .